الأنوار
الخميس 03-02-2011 العدد 17663
16

خـط سـطـورَه ... ومـضـى

■ ناتالي الخوري غريب

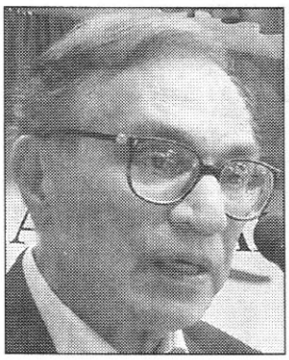
د. متري بولس

❖ لمناسبة تكريم الراحل الدكتور متري بولس في جامعة القديس يوسف في ذكرى مرور ستة اشهر على غيابه، وإصدار كتاب يضم مقالات عن الراحل وشهادات محبّيه وزملائه وطلابه فيه.

مضى في طريقه ...
طريق النور الصاعد أبدًا إلى عل...
طريق الفناء المكلّل بالبقاء...
لكنّه مضى...

ومضى فعل ماضٍ معتل، وناقص، ونقصه في العلّة الواقعة في نهايته، وهي علّة واقعة ومُتَوَقَّعة في نهاية مسيرة كل إنسان حيّ، وهي متحوّلة بين ماض «مضى» ومضارع «يمضي»، لكنّها تبقى كامنة في النهاية، ومترصّدة.

وهذا النقص والعلّة لا يشعر بهما إلّا من بقي على هذه الفانية شاهدًا على من مَضوا، شاعرًا بفقدان غالٍ ونقص حضورعالم علّامة، ما يستدعي استكمالًا لهذا النقص على ما بُني عليه وعلامة بنائه، صروحُ فكرٍ شيّدها،لكنّها ظاهرة ،لمن يرى ومن لا يرى، ثلة من جهابذة لمن اعترف ومن لم يعترف، ناهيك عن بناء مئات الرسائل والأطاريح الجامعيّة برعاية وإشرافًا....وقد كان لي شرف إشرافه على أطروحتي...

مضى، نعم، لكنّه ترك ذكريات وعلمًا، منها ما نُشر ومنها برسم الكتابة والنشر، ذكريات برسم المريدين التواقين إلى سعة علمه، المتجلببين بخرقة حبّه، المنداحين على إيقاع فكره.

مضى...

لكنّ بقاءه كان أقوى، بالعلوم التي أعطاها ،لغة وفكرًا وألسنية وبنيويّة... بالأيام التي أمضاها بيننا،والتي تجعلنا نقف أمامها،لأنّها تختصر قيمة العمر الذي مضى:

أيّام: أ ي ا م

الالف الأولى: مهموزة، وتأتي من عل كما الانسان، وتنحدر إلى هذه الفانية تتخبّط بها.

الياء: يعيش الانسان أيامه محتارًا بكلّ ما على الارض الدنيا ومتطلّباتها. وشجونها وآلامها وآمالها،محاولًا كشف أسرارها وعلومها، وهي التي قضاها الدكتور متري بولس في حصون المكتبات والجامعات... قبل أن يمضي...

الالف الثانية: ترتقي هذه الالف في كتابتها صعودًا، وكأني بها إرادة الانسان وحلمه بالصعود إلى أصوله الأولى من حيث انحدر، حلم الارتقاء إلى عالم السموّ والنور،عالم لطالما كان يتقن أستاذُنا الدكتور متري فنّ التحدث عنه والارتقاء إليه.

الميم: يستيقظ الإنسان من حلمه، فيجد نفسه مجدّدًا في عالم الأرض، لكن هذه المرة بفعل وعي، فيدور حول نفسه، لأنّه يعرف النهاية المحتّمة، وهي الغوص في التراب.

معرفة أتقن الكتابة في أسرارها وحتميّتها أستاذُنا.

هكذا مضى...

بعدما خط سطوره في كتاب الأيام...خلودًا وإبداعًا:

مضى... إلى حياة أبديّة... أيقونة بيزنطيّة ... تشعّ هالتها في قلوبنا وعقولنا، كما كان وعلى الدوام.

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"